

العشرة المبشرون بالجنة

الخليفة الأول

أبو بكر الصديق

رضي الله عنه

سمية عبد الحليم

مكتبة العبيكان

سلسلة العشرة المبشرون بالجنة



الخليفة الأول

أبو بكر الصديق

رضي الله عنه

بقلم

سمية عبد الحليم

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لجنة التأليف والترجمة بمكتبة العبيكان

الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه.ـ الرياض.

٥٥ ص؛ ١٧x٢٤سم (سلسلة العشرة المبشرون بالجنة؛ ١)

ردمك: ٥-٩٤١-٢٠-٩٩٦٠

١ ـ أبو بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة، ت ١٣هـ.

٢ـ الخلفاء الراشدون أ ـ العنوان ب ـ السلسلة

ديوي ٢٣٩,٩ ٢٢/١٠٥٩

ردمك: ٥-٩٤١-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٢/١٠٥٩

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرمز: ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب : ٢٣]

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠]

عن عبد الله بن أبي ربيعة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت :

«أسلم أبي أول المسلمين، ولا والله ما عقلت أبي إلا وهو يدين الدين» .

وقال رجل لبلال رضي الله عنه : «من سبق؟ قال : محمد ، قال من صلّى؟ قال : أبو بكر ، قال : قال الرجل إنما أعني في الخيل، قال بلال : وأنا إنما أعني في الخير» .

المقدمـة

قال رسول الله ﷺ:

«ما طلعت الشمس ولا غربت على أحدٍ بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر».

أبو بكر الصديق الأول دائماً في أمة الإسلام، أول من صدق برسول الله ﷺ، وأول من فُضِّل على العالمين بعد المرسلين والنبيين، إن حياة أبي بكر حافلة بالمواقف والعِبر التي تحتاج لآلاف الصفحات لكي نوفي هذا الرجل العظيم حقه، ولكننا في الصفحات المقبلة نحاول أن نتعرف على ملامح شخصيته ونماذج من عبقريته الفذة ....

نشـــأة صالحة

كـان للعـرب أديان في شـبـه الجـزيرة العـربيـة، فكان منهم من يدين باليـهودية، ومنهـم من تنصر واستبحر في النصرانية مثل: «ورقة بن نوفل»، ومنهـم من عبـد الأوثان والأصنام معتـقداً أنها تقربه إلى الله زلفى، وكـانت مكة مليئة بالأصنام التي صُفت حول الكعبة وبداخلها، كانوا يطوفون حولها ويتبركون بها ويسألونها الخير والتوفيق، وكان (هُبل) هو أكبر أصنام قريش قدسية لديهم، وكان على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى من عقيق أحمر، (وإساف ونائلة ومناف)، وغير ذلك؛ واعتزلت طائفة صغيرة عبادة الأصنام منهم زيد بن عمرو بن نفيل وقال: «أعبد رب إبراهيم»، وكان منهم من غير مكة قس بعد ساعدة الإيادي، وأمية بن أبي الصلت وغيرهما.

وكـانت في مكة أسرةٌ عرفت بالشرف والمروءة وعرف رجالها بالأدب والكرم، كما عرفت نساؤها بالدل والحظوة، كانت أسرة كبيرة؛ إنها أسرة بني تيم، كـان أفـرادها يشتـغلون بالتـجارة على أسـاسٍ من المودة وحسن المعـاملة والأمانة والصدق، ومن تلك القبيلة العريقة الأصيلة كانت أسرة أبي قحافة، ذلك الرجل الذي أنجب خير رجل بعد الأنبياء والمرسلين، أنجب

أبا بكر !! ولم يكن أبو بكر كغيره من الأبناء، بل لم يكن كغيره من شباب مكة، فقد ورث عن أبيه وأجداده جميع خصال الخير، وُلد سنة (٥٧٣) بعد عام الفيل بثلاث سنوات، أما نسبه فهو: عبد الله بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهي ابنة عم أبيه أبي قحافة.

❁ ❁ ❁

صداقة حميمة

إن النفوس المتشابهة تتآلف مع بعضها لتكون صداقات حميمة تعيش ما عاش أصحابُها في هذه الحياة.

ورجل كأبي بكر في خصاله ونقائه وجمال عشرته وطيب نسبه كان لابد له من صاحب يشاكله ويحيا على طريقته، والنفوس تهفو دائماً للصحبة التي تعين في الشدائد والنوازل، وهكذا هيأ القدر خير صاحب لأبي بكر .. هيأ له حفيد عبد المطلب بن هاشم سيد قريش، وابن أخ أبي طالب .. هيأ له محمد بن عبد الله خير شباب قريش، كان أبو بكر يهيم حباً بمحمد لصلاحه وعقله ورفعة نفسه،فما رآه اقترب من صنم قط، وكانا دائماً يظهران لبعضهما ضيقهما الشديد من الأصنام، كانت عيناهما تدوران في جوانب الكعبة فيتألمان من عبث قريش بهذا المكان الطاهر، أصنام منصوبة في جوانب الكعبة على صور الناس والحيوان، لها آذان ولكنها لا تسمع، وعيون لا تبصر، وأيد لا تعمل ولا تبطش، وأرجل لا تمشي ولا تتحرك !

تقول قريش عنها: إنها آلهة وأرباب !!

كذبوا والله، أهذه الخُشب المسندة تخلق الحياة في الناس فيتمتعون بها ولا تخلق في نفسها الحياة ؟!

لكنّ أبا بكر وصاحبه كانا دائماً يعتزلان قريشاً وأعيادها، كان لقريش عيد تعظم فيه صنماً اسمه «بُوانة» وكانت تجتمع عنده يوماً في كل عام؛ فتذبح له الذبائح، وتحلق عنده الرؤوس، وتشرب الخمر، وتلهو طوال الليل.

وكان أبو طالب يحضر هذا العيد مع قومه، وكان يدعو محمداً لحضور ذلك العيد معهم دوماً فكان يتعلل ولا يذهب معهم، إلى أن جاء يوم غضب أبو طالب وغضبت عمّات محمد وقلن له:

«أما تريد أن تحضر لقومك عيداً، ولا أن تكثّر لهم جمعاً».

وما زالوا حتى ذهب معهم، فغاب قليلاً ثم عاد لعماته فزعاً فقلن له:

ـ ما بالك يا محمد ؟!

ـ إني أخشى أن يكون قد أصابني مسٌ من الشيطان ؟

فقلن له:

ـ لا تخف، فلا يبتليك الله بالشيطان، وفيك من صفات الخير ما فيك.

فماذا رأيت؟

«إني كلما دنوت من صنمٍ منها تمثّل لي رجلٌ أبيضُ الثياب، يصيح بي ابتعد يا محمد ولا تمسَّه!»

وما عاد محمد لعيد من أعياد قومه بعدها أبداً.

وهكذا، كان محمد دائماً في صحبة أبي بكر، يشاهدان الرهبان والكهان في بلاد بعيدة ويسمعان من الأحبار، ويعتزلان الأصنام معاً، ويسلكان بالعدل والصدق والأمانة، وينأيان عن الرجال والنساء يطوفون عراة حول الكعبة ... وطالما حلما معاً بالخلاص من كل هذا ...

❁ ❁ ❁

أول المصدقين

بزغ الفجر المنتظر بنور النبوة، فزار المَلَكُ غار حِراء حيث كان يتحنث محمد معتزلاً مكة بمن فيها وما فيها، تاركاً وراءه زوجه الوفية خديجة بنت خويلد ترعى أولاده ... تاركاً وراءه أحب صديق له ... أبا بكر، يرعى تجارته ويصون آل بيته عن مفاسد قومه، ونزلت أول آيات القرآن:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق: ١ - ٥]

وكان أبو بكر أول من اتبع محمداً ﷺ وأسلم معه لله رب العالمين من الرجال، لم يطلب منه أدلة، ولم يتردد في قبول دعوته طرفة عين، ولذا قال فيه الرسول ﷺ بعد ذلك:

- **«ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر ما علم عنه حين ذكرته له»** يقصد الرسول ﷺ أنه بادر إليه فأسلم.

وتحمل أبو بكر الإيذاء في سبيل الدعوة الجديدة أكثر من أي أحد، وأنفق الكثير في سبيلها، بل لقد أنفق في سبيل عتق الرقيق ما لم يتحمله غيره، وتحمل إهانات قريش الكثيرة واحتسبها عند الله تعالى، ومن ذلك أن رسول الله ﷺ لما دخل دار الأرقم ليعبد الله ومن معه من أصحابه سراً ألح أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ في الظهور على الملأ من قريش ليجهروا بعبادتهم أمامهم، فقال النبي ﷺ:

إنا قليل، ...

فلم يزل به حتى خرج رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس، ودعا للإقبال على الرسول ﷺ، فثار المشركون على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وعلى المسلمين يضربونهم، فضربوهم ضرباً شديداً، ووُطئ أبو بكر بالأرجل، وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين، ويحرفهما إلى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه، فجاءت بنو تيم يتعادون فأجْلت المشركين عن أبي بكر إلى أن أدخلوه منزله ولا يشكّون في موته، ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا:

ـ والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة.

ثم رجعوا إلى أبي بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى آخر النهار، ثم تكلم وقال:

ـ ما فعل رسول الله ﷺ؟

وصار يكررها، فقالت أمه:

ـ والله ما لي علم بصاحبك. فقال لها:

ـ اذهبي إلى أم جميل فاسأليها عنه.

فخرجت إليها وسألتها عن محمد بن عبد الله، فقالت:

ـ لا أعرف محمداً ولا أبا بكر، تريدين أن أخرج معك؟

ـ نعم؟

فخرجت معها حتى جاءت أبا بكر فوجدته صريعاً فصاحت وقالت:

ـ إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وإني لأرجو أن ينتقم الله منهم.

فقال لها أبو بكر رضي الله عنه:

ـ ما فعل رسول الله ﷺ؟

ـ فقالت: هذه أمك.

فقال لها:

ـ إنها لا تفشي سراً.

فقالت له:

ـ سالم هو في دار الأرقم.

فقام من فراشه بصعوبة وهو يقول:

ـ والله لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ.

فلما سكن الناس خرج يتكئ على أمه إلى رسول الله ﷺ، فرق له لما رآه رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب المسلمون كذلك، فقال:

ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما بي من بأس إلا ما نال الناس من وجهي، وهذه أمي برة بولدها فعسى الله أن يستنقذها من النار، فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الإسلام فأسلمت.

وذات يوم كان زعماء قريش مجتمعين يتذاكرون ما فعله الرسول ﷺ بدعوته، ويدّعون أنه سفّه أحلامهم وشتم آباءهم وعاب دينهم، ويقولون بأنه فرّق بين الرجل وولده وبين المرء وزوجه، وبينما هم كذلك طلع رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به، يقولون أنت الذي

تقول كذا وكذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول رسول الله ﷺ: **نعم، أنا الذي يقول ذلك**، فهمَّ رجل منهم ليضرب النبي ﷺ وقد أخذ بمجمع ردائه، فقام أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ دونه وهو يبكي ويقول:

«أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟!»

فرجع أبو بكر يومئذٍ وقد صدعوا فرق رأسه مما جبذوه بلحيته؛ وكان رجلاً كثير الشعر.

وكان له مال يقدر بأربعين ألف درهم أنفقها في سبيل الله مع ما كسب من تجارة منذ أسلم، فأنزل الله في شأنه:

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) ﴾ [الليل: ١٧ – ١٩]

❁ ❁ ❁



معتق الأرقــاء

دعا النبي ﷺ للمساواة بين الناس؛ فلا فضل في الإسلام لأبيض على أسود، ولا لسيد على عبد، ولا لغني على فقير، إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١)

لكن سادة قريش لم يعجبهم هذا الميزان الحكيم العادل، وأصرّوا على الاستكبار في الأرض بغير الحق، وأسلم كثير من العبيد والمستضعفين، واتبعوا دين المساواة الذي حلموا به كثيراً بعدما كانوا يعانون من ذل وهوان واستعباد وقسوة من أسيادهم الذين لا تعرف الرحمة إلى قلوبهم سبيلاً.

لذا فقد لاقوا أشد العذاب من هؤلاء الأسياد، لكنَّ الأغنياء من المسلمين كانوا يسارعون لتخليص هؤلاء الضعفاء من بطش الأسياد السفهاء بعد ما أعلمهم رسول الله ﷺ بفضل تحرير الرقيق في الإسلام وجزيل ثوابه عند الله تعالى.

ولذا فقد سارع أبوبكر - رضي الله عنه - للعمل في هذا الباب الواسع من أبواب الخير، فكان كلما سمع عن عبد أو أمة يعذبان سارع لسيد كلٍ

(١) الحجرات: ١٣.

منهما ودفع ما يطلبه ليفك أسرهما ويخلص عذابهما، وكان ممن أعتقهم أبو بكر رضي الله عنه: عامر بن فهيرة، وأم عبيس، وزنيرة، والنهدية وابنتها، وجارية بني مؤمل التي كانت لعمر بن الخطاب وكان يعذبها قبل إسلامه، فمرَّ أبو بكر أثناء تعذيبها فوجد عمر يقول لها:

ـ إني أعتذر إليك، إني لم أتركك إلا ملالة.

فقالت له:

ـ كذلك فعل الله بك.

فابتاعها منه أبو بكر، وأعتقها.

لقد أعتق أبو بكر ست رقاب بماله وكان سابع من أعتقهم بلال بن رباح رضي الله عنه.

وكان أبو بكر هو السبب في إسلام بلال رضي الله عنهما .. ففي ذات ليلة والناس قد هجعوا إلى ديارهم وخفت الحركة في الطرقات، سار أبو بكر لدار أمية بن خلف ودار حولها حتى بلغ كوة تطل على حجرة العبيد فاقترب من الكوة وهو يتلفت حوله، وهتف بصوت خافت:

ـ بلال .. بلال.

ثم لما لم يجد جواباً خاف أن يسمعه أحد فلا يجد مبرراً لموقفه هنا، لكن تشجع وأعاد الكرة، ووقف ينتظر في قلق بالغ وقد تصبب العرق الغزير من جسده، وفجأة رأى بلالاً يتلفت باحثاً عن مصدر الصوت فهمس:

ـ بلال . . وهنا أسرع بلال نحو صاحبه أبي بكر وقال له في دهشة بالغة:

ـ من أبو بكر ماذا أتى بك في هذه الساعة يا أخي؟

ـ نبأ هام . . لم أكن لأستطيع أن أفضي به إليك تحت سمع وبصر سيدك.

ـ وما هو هذا النبأ يا أبا بكر؟

ـ ظهر نبي هذه الأمة.

ـ ماذا تقول: نبي هذه الأمة !! ومن هو؟

ـ إنه محمد بن عبد الله يا بلال . . إنه النور الذي طالما انتظرته .

ـ إلام يدعو؟

يدعو إلى التحرير المطلق من عبودية الأحجار، يدعو لعبادة الله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، إنه يدعو للمساواة بين

الناس .. بين الأسياد والعبيد، إنه يدعو لتحرير الرقيق، إنه يحرم قطيعة الرحم، إنه يعد المؤمنين بجنة الخلود ويتوعد الظالمين بنار جهنم خالدين فيها أبداً.

ـ إني يا أبا بكر لا أدري ما أقول.

ـ لا تتردد يا بلال واشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله.

فقال بلال بصوت يرتعد:

ـ أجل .. لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

ـ بارك الله فيك يا بلال .. سأنتظرك غداً في داري مساء لتذهب لرسول الله ﷺ لتبايعه.

ـ أجل يا أبا بكر سوف آتي معك ..

وحدث ما اتفقا عليه.

ولما علم أمية بن خلف بإسلام عبده سلط عليه أذاه وعذابه، فكان يربط حبلاً في رقبته ويسلمه للصبيان يجرون جسده في طرقات مكة وينعتونه بأبشع الصفات وهو ساكن ثابت لا يعبأ بهم وهو يردد: أحدٌ أحد، وكان يخرجه في اليوم شديد الحر وقد ارتفعت الشمس في كبد السماء ويلبسه

درعاً من حديد ويقيده في بطحاء مكة ويتركه إلى أن ينصرم[١] النهار، كان يجلده بالسياط ويكوي جسده بالنار، وبلال صابر صبراً جميلاً ثابت ثبات الجبال الصُم، إلى أن أذن الله له بالفرج.

ومر به أبو بكر وهو في عذابه فقال لأمية:

ـ ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟

ـ أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى.

ـ أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيكه به.

ـ قد قبلت.

ـ هو لك.

فأعطاه أبو بكر العبد الكافر، وأخذ بلالاً وأعتقه.

فرضي الله عنك يا أبا بكر .. يا معتق الأرقاء !!

❁ ❁ ❁

(١) ينصرم: ينقضي وينتهي.



هو الصدِّيق أبو بكر !!

كان عاماً شديداً على قلب النبي ﷺ ذلك الذي ماتت فيه زوجه السيدة خديجة رضي الله عنها، ومات فيه كذلك عمه أبو طالب نصيره الوحيد في قومه، ولم يعد له في مكة بعده من نصير..

ثم ذهب النبي ﷺ بعدها إلى الطائف ليدعو ثقيفاً للدين الجديد بعد أن صدّته قريش وحاربته وكذبته . .

سار إليها على قدميه مسافة تزيد على سبعين ميلاً (١٢٠ كم) ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فما وصلها إلا وقد تقرحت قدماه الشريفتان!! كانت ثقيف تعبد « اللات » وكان لزعماء قريش بساتين وقصور بالطائف يقضون فيها أشهر الصيف لارتفاعها ولطف هوائها، فلم ترحب ثقيف بالنبي ﷺ وصاحبه حتى لا تفسد علاقاتها مع زعماء قريش وقد علمت عداءهم له .

بل وآذوه وأغروا به السفهاء يُدمون عقبيه، وتسيل دماؤه على الأرض، ثم أوى إلى بستان كان يملكه « عتبة بن ربيعة » وأخوه « شيبة » وهما من سادة قريش.

فرقّ له صاحبا البستان وأرسلا إليه قطوفاً من العنب وكوزاً من الماء مع عبد لهما يدعى « عَدَّاس » فلما لقيه آمن به واتبعه.

ثم رجع الرسول ﷺ إلى مكة ودخلها في جوار « المطعم بن عدي ».

وأراد الله أن يظهر لنبيه عليه الصلاة والسلام منزلته عنده وأنه ليس به هوان عليه ولكنه يمتحنه كما يمتحن أولي العزم من رسله بالشدائد ليظهر للعالمين مقدار صبرهم ويجعل منهم أمثلة للخلق.

فكانت رحلتي الإسراء والمعراج، أما الإسراء فكان بتوجهه ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس.

وأما المعراج فهو صعود جبريل عليه السلام به في العالم العلوي، واختراق حجب السموات العُلى، ونظره في ملكوت الله الواسع مما لم يحدث لبشرٍ قبله.

وفُرضت الصلاة في تلك الرحلة العظيمة: خمس صلوات في اليوم والليلة.

ولما رجع الرسول ﷺ لمكة بات في فراشه ثم أصبح فغدا إلى قومه وحدثهم بما جرى معه في ليلته الفائتة، فصاح أبو جهل:

ـ يا بني كعب بن لؤي، هلموا واسمعوا !

فأقبل عليه كفار قريش.

قال أبو جهل:

ـ اسمعوا ما يحدثكم به محمد.

فأخبرهم رسول الله ﷺ بخبر الإسراء والمعراج !

فصاروا بين ساخرين ومصفقين بأيديهم، ومنكرين.

وسعى رجالٌ من قريش إلى أبي بكر يخبرونه بما قال محمد ! ثم سألوه:

ـ أأنت مصدقه بعد ذلك ؟

فقال أبو بكر رضي الله عنه:

ـ إن كان قال ذلك فقد صدق ! وأصدقه في أبعد من ذلك ! أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة، ...

فسمي أبو بكر من يومها بالصديق .. رضي الله عنك يا أبا بكر.

❁ ❁ ❁

رفيق الهجرة

اتفق صناديد قريش على قتل النبى ﷺ، وقالوا:

- نختار من كل عشيرة فتى قوياً شجاعاً، ثم نجعلهم يضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل جميعاً ولا يستطيع قومه الثأر منا ويرضون بدية ٍفندفعها لهم.

وحددوا لذلك ليلة، وتناسوا أن الله مطلع عليهم، فمكروا ومكر الله، واللهُ خير الماكرين.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1].

وأخبر جبريل الرسول ﷺ بمكر القوم وأذن له بالهجرة إلى المدينة في الليلة التي عقد الكفار فيها النية على قتله.

وذهب الرسول ﷺ ظهر ذلك اليوم لأبي بكر، وهو وقت غير طبيعي بالنسبة لما اعتاده رسول الله ﷺ، كان يذهب إلى صاحبه إما بكرة وإما عشية، ولكنه لما علم بإذن الهجرة ذهب إليه ظهراً وقال له:

(١) سورة الأنفال: ٣٠ .

ـ أخرج عني من عندك !

فقال أبو بكر:

ـ يا رسول الله إنما هما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي ؟!

ـ إن الله قد أذن لي في الهجرة !

فقال أبو بكر في لهفة:

ـ الصحبة يا رسول الله ؟!

فقال النبي ﷺ:

ـ الصحبة . وأجاب أبا بكر إلى أن يصحبه معه.

قالت عائشة رضي الله عنها:

«فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ !».

وجاءت الليلة الموعودة، جاءت الليلة التي بدأ بها التأريخ للمسلمين، ليلة الهجرة. الليلة الكريمة التي كان الصديق يتشوق إليها وينتظرها على أحر من الجمر، وانتصف الليل، وبات علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ

في فراش المصطفى ﷺ، بات ليوهم الكفار بوجود النبي ﷺ وليظنوا أنه نائم في فراشه لم يبرحه ولم يترك داره . . قال له النبي ﷺ.

ـ « نَمْ على فراشي، وتغطَّ بُبردي هذا الأخضر، ولن يخلص إليك شيء تكرهه! » وأمره الرسول ﷺ أن يؤدي الأمانات وحاز الصديق شرف الهجرة مع الحبيب ﷺ.

❁ ❁ ❁

رحيل الحبيب

توفي رسول الله ﷺ في حجرة السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ، في صباح يوم الإثنين الموافق (١٢ من شهر ربيع الأول سنة ١١ هـ) ، ودفن ليلة الأربعاء وقد غُسل في قميصه، وغسَّله العباس والفضل وقُثَم ابنا العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ، وكانت الصلاة عليه فرادية، صلى الرجال ثم النساء ثم الصبيان.

وكان أول من دخل عليه أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وقالا وهما في الصف الأول حيال رسول الله ﷺ:

«اللهم إنا نشهد أنْ قد بلغ ما أنزل عليه ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه، وتمت كلماته فآمن به وحده لا شريك له، فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، لا نبتغي بالإيمان بدلاً، ولا نشتري به ثمناً أبداً».

وقال أبو بكر للصحابة حين اختلفوا أين يدفنون الجثمان الشريف:

ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ما مات نبي قط إلا يُدفن حيث تقبض روحه».

فقال علي رضي الله عنه:

ـ وأنا أيضاً سمعته.

فرفع فراشه ودفن. وحفر له أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وجعل في قبره قطيفة حمراء كان يلبسها، فبسطت تحته، دفن النبي ﷺ في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها، وكانت رضي الله عنها قد رأت في نومها كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرتها فقال لها أبو بكر:

ـ إن صدقت رؤياك دُفِنَ في بيتك خير أهل الأرض...

فلما دفن ﷺ قال لها أبوها:

خير أقمارك يا عائشة !!

❁ ❁ ❁

الخليفةُ الأولُ

بعد وفاة المصطفى ﷺ أراد الأنصار أن تكون البيعةُ فيهم، واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وجاؤوا بسعد بن عبادة وهو مريض بالحمى ليبايعوه وطلبوا إليه أن يخطب، فخطب ووضح أن الأنصار أحق بالولاية من المهاجرين، وغضب عمر من خطبة سعد فقال له أبو بكر:

ـ رويداً حتى أتكلم.

ثم خطب ـ رضي الله عنه ـ فمدح الأنصار وأثنى على نُصرتهم للدعوة، ومدح المهاجرين وقال إنهم أول من عبد الله على وجه الأرض، ثم قال:

ـ ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. يقصد عمر وأبا عبيدة.

ولكنهما رفضا وقالا:

ـ «لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله ﷺ على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك؟»

فقام الحاضرون وبايعوا أبا بكر رضي الله عنه. وسميت تلك البيعة بالبيعة الخاصة، لأن كثيراً من المسلمين لم يحضروها وخاصة أهل بيت النبي ﷺ لأنهم شغلوا بتجهيزه ودفنه، وفي اليوم التالي لدفن النبي ﷺ اجتمع المسلمون في المسجد وبايعوا أبا بكر بيعة عامة حضرها جمهور الصحابة، وبهذه البيعة قامت دولة الخلفاء الراشدين التي دامت نحو ثلاثين سنة (١١-٤٠هـ).

وبعد أن تولّى الخلافة - رضي الله عنه - خطب في الناس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

- « أيها الناس قد وُلِّيتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ منه الحق إن شاء الله تعالى، لا يدع أحد منكم الجهاد، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله ».

وبعد ذلك توالت الصعوبات التي واجهت الدولة الإسلامية، وعالجها الخليفة الأول بحكمته السياسية وبصدق عزيمته.

جيش أسامة

استعملَ رسولُ الله ﷺ أسامة بن زيد على جيش المسلمين، وأمره بالتوجه إلى حدود الشام للأخذ بثأر من قتل في غزوة مؤتة، فلما اشتكى الرسول ﷺ توقف الجيش عن المسير، فلما اشتد المرض على رسول الله ﷺ خرج للناس عاصباً رأسه وقال:

ـ «**أيها الناس، أنفذوا جيش أسامة**» قالها ثلاث مرات، ثم قال: «**إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبله، وايم الله إنه كان خليقاً للإمارة، وايم الله إنه لمن أحب الناس إلي بعده**»، ومات رسول الله ﷺ ولم يخرج الجيش، وكان الناس يطعنون في خروج أسامة بالجيش قائداً له لأنه لم يكن قد جاوز العشرين من عمره، ولما ارتد كثير من الأعراب قال المسلمون لأبي بكر رضي الله عنه:

ـ إن جيش أسامة جند المسلمين، والعرب قد انتقضت بك فلا ينبغي أن تفرق عنك جماعة المسلمين.

ـ فقال للمسلمين:

ـ والذي نفسُ أبي بكر بيده لو ظننتُ أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبق في القُرى غيري لأنفذته.

فقال له عمر رضي الله عنه:

ـ إن الأنصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة.

فوثب أبو بكر وكان جالساً وأخذ بلحية عمر فقال له:

ـ ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه ؟!

فخرج عمر رضي الله عنه إلى الناس فقالوا له:

ـ ما صنعت ؟ فأجابهم في غضب:

ـ امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله ﷺ.

وخرج أبو بكر حتى يشيِّع الجيش وهو ماش وأسامة راكب وعبدالرحمن ابن عوف يقود دابة أبي بكر فقال أسامة للخليفة:

ـ يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلن.

فقال الخليفة العظيم:

ـ « والله لا تنزل ووالله لا أركب وما عليَّ أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة.

ثم قال لأسامة:

-إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل.

فأذن القائد الصغير في أن يترك عمر لأبي بكر ليعينه في شؤون الخلافة، فياله من تواضع يا أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ!!

ثم خطب أبو بكر في الجيش موصياً؟ فقال:

«يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشرٍ فاحفظوها عني:

لا تخونوا، ولا تغلّوا[1]، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له. وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها. وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقاً، اندفعوا باسم الله».

(١) ولا تغلّوا: تحذير من الخيانة في المغنم.

ثم قال لأسامة:

ـ اصنع ما أمرك به نبي الله ﷺ. ابدأ ببلاد قضاعة ثم ائت آبل ولا تقصرن من شيء من أمر رسول الله ﷺ، ولا تعجلن لما خلفت عن عهده.

وانطلق الجيش وعمل بالنصح والأمر النبوي وبنصائح الخليفة رضي الله عنه، فأوقع الهزيمة بقبائل قضاعة التي ارتدت، وغنم وعاد إلى المدينة وغاب في جهاده أربعين يوماً سوى وقت الذهاب والعودة، ولم يفقد الجيش أحداً من رجاله.

لقد حقق المسلمون نصراً عظيماً من إرسال جيش أسامة، فقد ألقى الرعب والفزع في نفوس الناس في القبائل العربية التي مرَّ عليها في شمالي شبه الجزيرة العربية وهو سائر إلى الشام فقد قال الناس:

ـ « لو لم يكن بالمسلمين قوة لما أرسلوا هذا الجيش الكبير إلى مثل هذا المكان البعيد في مثل هذا الوقت !! ».

❁ ❁ ❁

حروب الردة

لقد كان للصديق ـ رضي الله عنه ـ دور أساسي في تثبيت دعائم الإسلام بعد موته ﷺ؛ لأنه واجه أقواماً نكثوا عهودهم مع النبي ﷺ وارتدوا وامتنعوا عن دفع الزكاة، وقال أبو بكر لعمر حين أشار عليه بأن لا يجبرهم على دفع الزكاة لأن المدينة كانت بلا قوة تحميها حين خرج أسامة بالجيش:

ـ والله لو منعوني عقالاً ـ الحبل الذي يجر به الحمر ـ لجاهدتهم عليه.

لقد اقتدى أبو بكر بالنبي ﷺ حين جاءه وفد ثقيف يسلمون لكنهم يطلبون منه أن يعفيهم من الصلاة، فقال لهم رسول الله:

ـ «لا خير في دين لا صلاة فيه».

وقال أبو بكر:

ـ «والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة».

ثم اتخذ الصديق مسجد رسول الله ﷺ مقراً لغرفة العمليات العسكرية، وبات ليلته يعد للمعركة، وأمر نفراً من الصحابة بحراسة مداخل المدينة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وعبد الله بن مسعود، وطلحة بن عُبيد الله، وغيرهم. رضي الله عنهم.

وحدث ما توقعه الصديق، فبعد ثلاثة أيام هاجم مانعو الزكاة المدينة فوجدوا المسلمين في انتظارهم فهزموهم وولوا مدبرين إلى «ذي القصة» شرقي المدينة فتعقبهم الصديق، وألحق بهم هزيمة منكرة، وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة، واتخذ أبو بكر من ذي القصة مكاناً لإدارة المعركة ضد المرتدين جميعاً، وأناب عنه أسامة على إدارة شؤون المدينة بعد عودته منتصراً غانماً من الشام.

لقد كانت تلك القبائل المرتدة تحمل عصبية قوية، فقد كانت كل قبيلة تريد لها نبياً من أبنائها، ولم يكن إسلامهم قوياً وظنوا أن المسلمين سيضعفون بموت الرسول ﷺ، كذلك أراد الفرس والروم القضاء على الإسلام فحرضوا العرب المجاورين لهم على الردة.

❁ ❁ ❁

خطوات النصر

لم يعمد الخليفة مباشرة للقوة والقتال ليحصل على نصر الإسلام وتمكينه مرة أخرى في قلوب المرتدين، بل لقد خطا خطوة سليمة فبصّر المرتدين بخطورة ارتدادهم وعواقبه، وبيَن لهم أن الإسلام نعمة كبرى وشرح لهم أهمية الزكاة وفائدتها، لكن المرتدين أبوا أن يسلموا ويرجعوا للحق فأنفذ الخليفة أحد عشر جيشاً في وقت واحد. حتى تنشغل كل قبيلة بالدفاع عِن نفسها ولا يتجمعوا ضد المسلمين. وبرزت هنا حكمة الصديق ودهاؤه في مواجهة الصعاب.

واختار الصديق لهذه الجيوش أمهر القادة وأكثرهم خبرة بالقتال، وهم خالد بن الوليد وأرسله لبني أسد، وغطفان بقيادة طليحة بن خويلد في بذافة. ثم يتوجه بعدها لبني تيم في البطاح إلى الشرق من ديار بني أسد. وعكرمة بن أبي جهل وشرّحبيل بن حسنة إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب.

والعلاء بن الحضرمي للبحرين.

وحذيفة بن محصن لقتال المرتدين في دباخ جنوبي شرقي شبه الجزيرة.

والمهاجر بن أبي أمية لليمن، وعرفجة بن هرثمة لمهرة في الجنوب.

وسويد بن مقرن لتهامة اليمن على ساحل البحر الأحمر.

وعمرو بن العاص لقتال قبائل قضاعة في الشمال.

ومعن بن حاجز لهوازن وبني سليم.

وخالد بن سعيد بن العاص لتيماء، وأمره ألاَّ يقاتل أحداً إلا إذا قوتل.

انتصر القواد المسلمون في معاركهم ضد المرتدين في كل البقاع التي توجهوا إليها، وفر طليحة بن خويلد، وظهر كذبه؛ لكنه أسلم بعد ذلك وجاهد واستبسل في الفتوحات.

أما في اليمامة فقد تعجل عكرمة وشرحبيل وقاتلا مسيلمة ولم ينفذا وصية الخليفة بعدم القتال في بداية الأمر، فانهزما أمام مسيلمة، فغضب الخليفة وأمرهما ألاَّ يعود للمدينة وأرسل إليها خالد بن الوليد، والتقى في «عقرباء» بقوات مسيلمة التي كانت تبلغ أربعين ألفاً بينما كانت قوات خالد تبلغ ثلاثة عشر ألفاً فيهم عدد كبير من المهاجرين والأنصار، واشتد القتال واستمات المسلمون في الدفاع عن الدين الإسلامي، وزأر خالد قائلاً: وامحمداه، فانقض المسلمون على المرتدين كالأسود وقتلوا الكثير وقتلوا مسيلمة الكذاب وعشرين ألفاً من رجاله، واستسلم باقي رجاله أسرى

للمسلمين، واستشهد من المسلمين أكثر من ألف ومائتي رجل، منهم عدد كبير من القراء وحفظة القرآن الكريم.

وانتهى كابوس المرتدين قبل مضي عام على بدء حركة الردة بفضل الله، ثم بفضل حنكة أبي بكر وجهود المسلمين، وعادت شبه الجزيرة العربية مُوحدة دينياً وسياسياً تحت لواء المسلمين.

❁ ❁ ❁



جمعُ القرآنِ الأوَّلُ

قال رسول الله ﷺ «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره».

وقال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله».

وكان أبو بكر - رضي الله عنه - أعلم الصحابة بالقرآن، ولما مات عدد كبير من حفظة القرآن في حروب الردة فزع عمر وقال لأبي بكر:

- ينبغي أن نحفظ القرآن ونجمعه من صدور حفظته الباقين فقد استشهد أكثرهم ونخاف ضياع القرآن.

فقال:

- كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ.

- أرى والله أنه خير.

فاستدعى أبو بكر «زيد بن ثابت» وكلفه بمهمة جمع القرآن قائلاً:

- إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك، وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه.

فجمعه زيد من سعف النخل ومن الرقاع والعظام وصدور الرجال وجعله في مصحف واحد. وظل هذا المصحف عند أبي بكر حتى توفي، ثم انتقل لعمر، ثم لحفصة أم المؤمنين. وهكذا كان جمع القرآن من أهم أعمال أبي بكر رضي الله عنه.

❁ ❁ ❁

السيرةُ العطِرةُ

كان أبو بكر قبل استخلافه تاجراً، وكان يسكن بالسنح من ضواحي المدينة عند زوجته حبيبة، ثم انتقل إلى المدينة بعد الخلافة بستة أشهر، وكان يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له غنم ربما خرج بها بنفسه، وكان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع قالت جارية:

ـ «الآن لا تحلب لنا منائح دارنا».

فقال أبو بكر:

ـ «بل لعمري لأحلبنها لكم وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه من خلق كنت عليه».

ثم ترك التجارة ليتفرغ لأعمال المسلمين وإصلاح شؤونهم وفرض له المسلمون (٦٠٠٠) درهم في السنة له ولعياله، فلما مات حسبوا ما أنفقه على أهل بيته من بيت مال المسلمين، في مدة خلافته فوجدوه (٨٠٠٠) درهم، وكان يوزع الصدقات على الفقراء وعلى تجهيز الجيوش، وكان يوزع غنائم الحرب على الناس وقت وصولها أو في صباح اليوم التالي، ولم يكن له حراس يحرسونه، وقال عند موته:

«وإنّ أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم» ودفع إليهم بعيراً وعبداً وقطيفة ما تساوي خمسة دراهم. فقال عمر رضي الله عنه: «لقد أتعب من بعده» !!.

❁ ❁ ❁

وفاة الصديق

لم تطل خلافته ـ رضي الله عنه ـ فقد مكث فيها سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

امتد المرض والوجع من الحمى به خمسة عشر يوماً وابنته أم المؤمنين عائشة تمرضه وتعزي نفسها بأبيات الشعر وتقول:

لعمرك ما يُغني الثراءُ عن الفتى

إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فكان يقول لها:

ـ لا تقولي هكذا، ولكن قولي:

ـ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) ﴾.

وقال قبل موته لعائشة رضي الله عنها:

ـ إني كنت قد نحلتك حائطاً ـ بستاناً ـ وإنَّ في نفسي منه شيئاً فرديه إلى الميراث. قالت: نعم، فرددته، فقال:

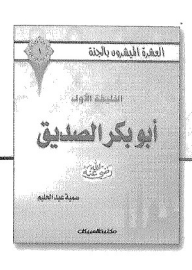
أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا خشن ثيابهم على ظهورنا».

ومات ـ رضي الله عنه ـ بعد أن أوصى ابنته أن يُدفن بجانب حبيبه ﷺ، وسقط القمر الثاني في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها .. رحمك الله يا خليفة رسول الله ﷺ.

❁ ❁ ❁

المحتويات





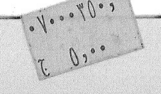
صحابة رسول الله ﷺ نجوم هذه الأمة، بهم نقتدي، ومنهم نأخذ النماذج الوضيئة للإسلام.

فأعمالهم مبهرة، وسيرتهم مفخرة لكل مسلم، وفي مقدمة هؤلاء الصحابة الأجلاء ثلة من الأخيار امتازوا على غيرهم بسجايا حميدة وفعالة سديدة فكانوا أمثلة جليلة لإخوانهم، مصابيح تضيء الطريق لمن بعدهم، فاستحقوا بشارة رسول الله ﷺ لهم بالجنة بشروا بها في الدنيا قبل الآخرة وأصبحت هذه البشرى وساماً على صدورهم ولقباً زين أسماءهم وزادها شرفاً، هؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة.

وهذه المجموعة من الكتب تعرض علينا صوراً مشرقة من حياة هؤلاء الأ... ليكونوا لنا قدوة نقتفي أثرها ونجوماً نهتدي بضوئها.

ويسر مكتبة العبيكان أن تنشر هذه الكتب لتكون غذاءً روحياً لأ... الأمة ليكونوا خير خلف لخير سلف، فيعيدوا لهذه الأمة مجد...

هذا والله من وراء القصد.






ردمك: ٥-٩٤١-٢٠-٩٩٦٠
7000350